

المانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين
د. عبد الرؤوف سنو يضيء على العلاقات الألمانية العثمانية

"المانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين" كتاب للدكتور عبد الرؤوف سنو صادر عن دار الفرات. يرى الكاتب ان أول دعوة المانية رسمية لاستخدام الإسلام في الصراع مع الدول الكبرى، جاءت في أثناء رحلة الامبراطور وليم الثاني الى بلاد الشام العام 1898 والقائه خطاباً استراتيجياً في دمشق، لعب فيه على ورقة الإسلام والإسلامية ضد الدول الكبرى، وبخاصة بريطانيا وفرنسا، وأعلن عن صداقته للمسلمين في العالم، وفي هذا المعنى جاء خطابه اللاحق في طنجة العام 1905 وعزفه على النعمة الإسلامية وتأكيد على استقلال المغرب في وجه أطماع فرنسا وإسبانيا.

ويكشف الكاتب عن وقوف المانيا وراء اعلان السلطان العثماني والمرجعيات الشيعية في العراق، الجهاد المقدس ضد دول الوفاق خلال الحرب العالمية الأولى، ولا يمكن الحديث عن "الجهاد المقدس" خلال الحربين العالميتين، من دون الحديث عن المستشرق الالماني ماكس فون اوبنهايم، الدبلوماسي، الذي عرف الشرق والإسلام وقياداته ومفكره وخبرها.

وكان أوبنهايم قد أطلق عليه لقب "أبو الجهاد" و "لورنس القيصر" بسبب وقوفه وراء اعلان السلطان العثماني الجهاد في الحرب العالمية الأولى خدمة للمصالح الالمانية، وفي العام 1940 أي بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بعام، أعاد أوبنهايم التأكيد مرة أخرى على أهمية الجهاد وتحريض المسلمين في سياق تحقيق بلاده مصالحها، لكن من دون أن يستخدم مصطلح الجهاد.

عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى تقدم أوبنهايم بأفكاره الى الامبراطور حول كيفية استغلال الاسلام و"الجهاد المقدس".

وجعلهما أهم أسلحة المانيا على الاطلاق في الصراع ضد دول الوفاق الودي، وجعله الوسيلة القادرة على خدمة أهدافها من الحرب، وليسير جنباً الى جنب مع الجيوش العثمانية في أراضي العدو.

وكان اعلان السلطان العثماني "الجهاد المقدس" لا يجعل من دول الوفاق الودي أعداء الدولة العثمانية فحسب، وإنما أعداء الإسلام قاطبة.

لذا كان أحد شروط المانيا للتحالف مع العثمانيين هو إعلان السلطان العثماني "الجهاد المقدس" ضد اعداء المانيا فترتب على ذلك ظهور ثلاثية للجهاد للمرة الأولى في التاريخ الإسلامي جهادان عثماني وشيعي عراقي لمصلحة المانيا، وجهاد عربي لمصلحة بريطانيا.

ولتحقيق أهدافها السياسية والعسكرية، تأسست في برلين العام 1915 "وكالة أخبار الشرق" برئاسة أوبنهايم في مدن الدولة العثمانية للتحريض على الجهاد والإشراف على الدعاية في البلدان الشرقية والإسلامية ولجذب المسلمين إلى الفريق الأقوى في الحرب، وركزت الدعاية الألمانية على التفوق الألماني العسكري والاقتصادي والبشري على دول الوفاق الودي، وعلى أواصر الصداقة والود التي تجمع ما بين الألمان والمسلمين، وعلى أخوة السلاح بين الجيشين الألماني والعثماني والتحالف المقدس بينهما.

وعلى خط مواز لدعايتها، تقربت ألمانيا إلى القيادات الفكرية والسياسية الإسلامية وعملت مع شخصيات عربية، أما اعتقاداً منها بسياستها الإسلامية المعلنة وتحالفها مع الدولة العثمانية، وأما بدافع الخوف على مصير المنطقة في حال انهارت الدولة العثمانية.

وبتأثير الدعاية الألمانية، ساد شعور لدى المسلمين بأن ألمانيا هي الدولة الوحيدة الحليفة للإسلام، والتي تعمل على إنقاذه من كبوته، وأضحى إمبراطور ألمانيا في نظر المسلمين هو "الحاج محمد وليم" الذي يدعو له المصلون بالنصر في المساجد.

يضيء الكاتب إعجاب المسلمين بسياسة ألمانيا الإسلامية الذي جعل بعضهم يتخيل إمكانية أسلحة إمبراطور وشعبه والاستقواء بهما بدلاً من الاقتداء بالنهضة الألمانية.

الكتاب يسلط الضوء على التاريخ الحديث والمعاصر من بوابته الأوروبية، والألمانية تحديداً، ويطل على "الصداقة" المتبادلة بين ألمانيا والسلطنة العثمانية. يقع الكتاب في 611 صفحة من القطع العادي.

هنا بلال